عالم البراري

النمر



دار المسيرة



النمر



هذه السِّلسلة

- كُلّ قِصّة مِنْ سِلسِلَة «عالَم البَراري» تَرْوي مُغامَرة أحَد الحَيَوانات وسُلوكه .
- تعتمدُ الرّواية على مُراقَبة تَصرُّف نَماذج مِنَ الحَيَواناتِ في الطّبيعة ، وَتُصوّر بيئتها تصْويرًا دقيقًا .
- يُختَتمُ كُلّ كِتابٍ بمعلوماتٍ وَافيةٍ وَدقيقةٍ عَن كُلّ حَيَوان .

دار المسيرة
للصحافة والطباعة والنشر
بيروت

نُقلت عن الإنجليزيّة بامتيازٍ خاصّ
وَإشتراك فنّي مِن مُؤسّسة :
Grisewood and Dempsey Ltd
لندن

الطبعة الثانية
١٤٠٢ هجرية
١٩٨٢ ميلاديّة

عالم البراري

النمر







الوقتُ فجرُ يومٍ مُشْمِسٍ والمكانُ فسحةٌ مُعْشِبةٌ، في الغابةِ. السعادينُ بدأتْ تزعقُ، والعصافيرُ تغرّدُ، في أعالي الأشجارِ، والشمسُ راحتْ ترتفعُ عالياً، والهواءُ يسخنُ تدريجياً.

وكانت نمرةٌ مُخْتَبِئَةً بَيْنَ أعشابٍ صوّحَتْها أشِعَّةُ الشمسِ، تترصّدُ وتنتظرُ. وكان أيِّلٌ يَرْعى مُطْمَئِناً في مكانٍ غيرِ بعيدٍ. فانسلّتِ النَّمرةُ ببُطْءٍ، بِاتّجاهِهِ، وبطنُها يلامسُ الأرضَ، حتى تكادُ لا تتحرَّكُ الأعشابُ الطويلةُ الساقِ. في حينِ تابعِ الأيِّلُ رَعْيَهُ، غيرَ مدركٍ مِقْدارَ الخطرِ الذي يوشِكُ أنْ يُداهِمَهُ. وراحتِ النَّمرةُ تقتربُ مِنْهُ أكثرَ فأكثرَ.



ورفعَ الأيّلُ رأسَهُ لحظةً، يستكشفُ المكانَ حولَهُ. وما كادَ يفعلُ، حتى انقضّتْ عليه النّمرةُ، وأَنْشَبَتْ فيهِ مخالبَهَا. فَخَرَّ الحيوانُ الضعيفُ على الأرضِ صَريعاً. عضّةٌ خاطفةٌ في عُنُقِه كانتْ كافيةً لهلاكِهِ.

وَرغْم أنَّ الأيّلَ كانَ يُضاهي النّمرةَ حَجْماً، فقد تمكّنتْ مِنْ جرِّهِ إلى أعماقِ الغابةِ، لتستمتعَ به بعيداً عن أيِّ إزعاجٍ. وكانتِ المَرَّةُ الأولى التي تأكلُ فيها، منذُ أيامٍ أربعةٍ.

ولما أكلتِ النّمرةُ حتى الشّبعِ آسْتَلْقتْ تستريحُ في الظّلِّ. واخترقَتْ أشعةُ الشمسِ الغطاءَ الكثيفَ، الذي تشكّلُه أوراقُ الشجرِ الخضراءُ، ورقشتْ أرضَ الغابةِ.

وكان من الصعبِ رؤيةُ النّمرةِ، حيثُ استلقتْ تستريحُ في ظلِّ الأشجارِ، وهي تلهثُ تحتَ وطْأةِ حرِّ الظهيرةِ.

وفجأةً، سَمِعَتْ زَئيراً خافِتاً من بينِ الأشجارِ القريبةِ. فنصبتْ أُذُنَيْها. ثـمّ ردَّتْ بِزَئيرٍ مماثلٍ وتباعدتْ أغصانُ الشُجَيْراتِ، وقفزَ من بينِها نَمِرٌ آخرُ، سُرعانَ ما استقرَّ في فسحةٍ مُشمسةٍ.



كانَ النمرُ الآخرُ ذكراً، أكبرَ حجماً من النّمرةِ، وأطولَ قامةً وأشدَّ عضلاً، يتفجّرُ حيويةً، ويزيِّنُ رقبتَهُ طوقٌ مِنَ الفروِ الجميلِ.

واقتربَ النمرُ ببطءٍ وحذَرٍ، منَ النَّمِرةِ، وهو يحرّكُ رأسَ ذنبه الطويلِ يميناً ويساراً. فتَظَاهَرَت بأنها لَمْ تَرَهُ، وانطرحتْ أرضاً وعيناها نصفُ مُغمضتينِ. فاستمرَّ يقتربُ مِنها. وكان يرغبُ في التّزاوجِ. لكنْ، كانَ عليه أولاً، أن يعرِفَ مدى استعدادها للتجاوُبِ، أي أنها لن تهاجمَه لو فعلَ.

وكانتِ النمرةُ راغبةً في التزاوجِ، فسمحتْ له بالبقاءِ إلى جانبِها، ولم تَعْتَدِ عليه.





وعاشتِ النّمرةُ وأليفُها طوالَ عشرةِ أيامٍ. وكانا، في خلالِها يصطادان ليلاً، نظراً إلى طراوةِ الجوِّ، ويستريحان نهاراً، في الظلِّ الرطبِ، قُرْبَ النهرِ. وكانا، مِن وقتٍ إلى آخرَ، يغوصانِ في الماءِ، فلا يظهرُ سوى رأسَيْهما فوقَ السّطحِ. وكانا أحياناً، يسبحانِ معاً.

وفي فجرِ أحدِ الأيامِ الباردةِ، دوّى زئيرُ نمرٍ آخرَ، كان يَسْعى، هُوَ الآخرُ، وراءَ أُنْثى للتزاوُجِ. فخافَ أليفُ النمرةِ على رفيقتِه، وزمجرَ محذّراً، وقفزَ متحدّياً منافِسَه، وقد وتّرَ براثنَهُ، وكشّرَ عن أنيابه. فأطْلَقَ النّمرُ الدخيلُ زمجرةً، حادةً، كلُّها دهشةٌ وخوفٌ. وأدارَ ظهرَهُ وانسلّ هارباً.



ذاتَ يومٍ ، انْسَحَبَ النَّمرُ (الأليفُ) متسللاً إلى الغابةِ، بدون رجعةٍ. فالنمرةُ ستلِدُ جراءَها ، في غيابه. وعندما اقتربَ موعدُ الوضعِ ، انطلقتِ النمرةُ ، وحيدةً ، تبحثُ عن مكانٍ آمنٍ تضعُ فيه. وسارتْ مسافةً طويلةً في الغابةِ، ولم تكنْ تتوقّفُ لتستريحَ ، إلا في منتصفِ النهارِ ، تحتَ وطأةِ حرارةِ شمسِ الهاجرةِ اللاذعةِ. وكانتْ تمرُّ عليها ، أحياناً ، أيامٌ بطولِها ، بدونِ أن تجدَ طعاماً تأكُلُه.

وفي نهايةِ المَطَافِ، وصلتِ النمرةُ إلى مُرتفعٍ صخريٍّ، فصعدتْ إليه، منهوكةَ القُوى، تحتَ ثِقلِ حَمْلِ بطنِها. وفي أعلى المرتفعِ ، وجدتْ كهفاً دافئاً ، كانَ المكانَ المناسبَ لتلِدَ جراءَها.

وأَمْضتِ النّمرةُ الأيامَ القليلةَ التاليةَ، قربَ الكهفِ. وفي أثنائِها، كانت تقومُ ببعضِ أعمالِ الصّيْدِ كَيْ تتغذّى. فقد كانتْ تشعرُ بأنها ستكونُ عاجزةً عن الابتعادِ عن صغارِها عندَ الوضعِ.

وذاتَ مساءٍ، وَضَعتْ ثلاثةَ جراءٍ ضعيفةَ البنيةِ. تُشْبِهُ ظهورُها المخطّطةُ بالسوادِ، ظهرَ الأم.

وكانتِ الجراءُ مغمضةَ العينينِ عاجزةً. وكانتِ النمرةُ الأمُّ تُرضِعُها، وتُنظِّفُها، وتُدفِئُها. وبعدَ أيامٍ، بدأتِ الأمُّ تشعرُ بالجوعِ، ولكنها لن تتركَ جراءَها لحظةً، حتى من أجلِ الصيد.



وسريعاً، فتحتِ الجراءُ أعيُنَها وراحتْ تَسْتَكْشِفُ موطِنَها. لكنّها كانت ما تزالُ صغيرةً، لِتَخرُجَ من الكهفِ. وبدأتِ النمرةُ الأمُّ تشعرُ بالجوعِ، وراحَ جسمُها يضعُفُ، وينحَلُ. وأدركتْ أنّها إن لم تحصلْ على الغذاء، لَمَا اسْتَطاعَتْ إطعامَ جرائِها. فكان لا بدَّ لها من الابتعاد عن جرائها، لتصطادَ لها ما يَسَعُها أكلَهُ.

وتركتِ النَّمرةُ جراءَها في حمايةِ أحدِ صخورِ المغارةِ، وراحتْ تهبطُ المرتفعَ. وكان الجوعُ قد أنهكها إلى حدٍّ أنها لم تلاحظِ الكلابَ البرّيةَ، الهائمةَ بالقربِ من المكانِ سعياً وراءَ فريسةٍ.

وكانتِ الكلابُ المتوحّشةُ جائعةً أيضاً. وما كاد أحدُها يرى النمرةَ تبتعدُ، حتى أسرعَ إلى الكهفِ، يَتَشَمَّمُ أرضَه علَّه يجدُ بقايا طعامٍ تركَتْها النمرةُ.



ودخلَ الكلبُ الكهفَ المظلمَ وراحَ يتشمَّمُ روائحَه، التي طغتْ عليها رائحةُ النمورِ المميزةِ، لكنّه لم يستطِعْ، وسطَ الظلامِ، أنْ يرى النمورَ الصغيرةَ في مَخْبَئِها، ولا أيَّ شيءٍ آخرَ. اثنانِ من الجراءِ، كانا نائمين. لكنَّ الثالثَ كان مستيقظاً. فراحَ يستروِحُ ما حولَ الصخرةِ ومدّ رأسَه يستنشقُ ضوءَ النهارِ. فسطَع الضوءُ الخافتُ على فروَتِه، فاكتشفَ الكلبُ الجائعُ وجودَه. وما هي إلا ثوانٍ، حتى كان الكلبُ يقبضُ بفكِّه على الجروِ الصغيرِ، ويحملُهُ بعيداً خارجَ الكهفِ.

مع الفجرِ، عادتِ النمرةُ الأمُّ، إلى الكهفِ، بعدَ أن قامتْ بصيدةٍ موفّقةٍ، وخبّأتْ بعضَها. لكنها ما كادتْ تدخلُ الكهفَ، حتى اشتمّت رائحةَ الكلابِ، وأسرعتْ إلى حَيْثُ خبّأتْ جراءَها، فلم تجدْ إلا اثنينِ منها. فالثالثُ كانَ قد ذهبَ.





وبدونِ انتظارٍ، أخذتِ النمرةُ الأمُّ جروَيْها بشدقِها برفقٍ، وراحتْ تنقُلُها الواحدَ بعد الآخر إلى خارجِ الكهفِ، فإلى أجمةٍ كثيفةِ العُشبِ، في أسفلِ التّلِّ، حيثُ يكونانِ في مأمنٍ فيما لو عادتِ الكلابُ.

ويوماً بعدَ يوم، أخذَ الجروانِ يكبُران، وبُنْيَتُهما تَقْوى. وبحراسةِ أمهما، شَرَعا يستكشفان، مُنحدَرَ التلّ. وكانتْ إحدى ألعابهما المفضّلة، القفزُ على ذَنَب أمهما الطويلِ، وهي تهزُّه برفقٍ، يميناً ويساراً. وكان الجروانِ يلعبان ألعاباً كثيرةً أخرى.

وإحدى هذه الألعابِ هي:

أن يطاردَ أحدُهما الآخرَ، وبطنُها المدوّرُ يكادُ يلامسُ الأرضَ. فكانَ أحدُهما يزحفُ ببُطْءٍ نحوَ الآخرِ، ورأسُه، ورقبتُه في وضعٍ أفقيٍّ، وأُذناهُ مُنْتصبتانِ. ثم يعودُ إلى القفزِ لِيَحُطَّ على رَأْسِ الجروِ الآخرِ.

وهما يلعبان لم يؤذِ أحدُهما الآخر، وبِفَضْلِ لُعبةِ المطاردَة، تعلّما المهارات التي تستخدمُها أمهما في الصيدِ. وهكذا عندما يحينُ الوقتُ لتركِ أمّهما سيكونان قادرَين على مطاردةِ الفريسةِ، وقتلِها بنفسيهما.



وذاتَ أصيلٍ انطلقتِ النَّمرةُ وَجَرْوَيْها، بأتجاهِ الغابةِ. وكانتِ الأصواتُ والروائحُ الجديدةُ تثيرُ الجروَينِ. فكانا يُكثِرانِ من التّوقفِ في الطريقِ. وقفزَ أحدُهما على سحليةٍ انطلقتْ مسرعةً من تحتِ صخرةٍ. ولم يجدِ الوقتَ الكافيَ للانقضاض على سحليةٍ أخرى، لأن النمرةَ الأمَّ، كانتْ تسيرُ بدونِ توقّفٍ. وكان على الجروَينِ أن يلحقا بها.

وتوقّفتِ النمرةُ فجأةً. وراحتْ تستروحُ الهواءَ. فآلتقطتْ رائحةَ حيوانٍ كَبيرٍ، يتحرّكُ في فَسحةٍ قريبةٍ من الغابةِ. كان جاموساً.

وراحتِ الأمُّ تزحفُ باتجاهه. وبَقيَ الجروانِ في المؤخّرةِ يتابعانِ تحرّكَها. ولم يستطعِ الجاموسُ التقاطَ رائحةِ النّمرةِ، لأنَّ الريحَ كانتْ تنفخُ باتجاهِها هيَ. وكانَ الجاموسُ حيواناً ضخماً، ذا قرنينِ خَطِرَين. ولم يسبقْ للنّمرةِ، أن قاتلتْ حيواناً بمثلِ هذه الضّخامةِ. فضغطتْ نفسَها تلاصقُ الأرضَ، واستمرّتْ تتقدمُ نحوهُ حتى أصبحتْ على مسافةٍ كافيةٍ للانقضاضِ عليهِ.

وما كادتْ تقفزُ، حتى أدارَ الجاموسُ رأسَه نحوَها برشَاقَةٍ. وتمكَّنَ من إصابةِ عنقِها بأحدِ قرنيهِ. فأنشَبَتِ النمرةُ مَخَالِبَها في ظَهْرِهِ، وحاولتْ أن تنتزعَ قطعةً منه بنابَيْها. لكنَّ الجاموسَ كانَ أقوى منها. فارتدّتْ خائرةَ القُوى، ووقعتْ أرضاً. وتحرَّكَ الجاموسُ بتثاقُلٍ مبتعداً عن الدغلِ.



ولِحُسْنِ الحظِّ، نَجَتِ النّمرةُ، ورجعتْ مُتعبةً إلى حيثُ كان جرواها مختبئين. وفي تِلكَ الليلةِ، لَمْ تَجِدْ للأكلِ، سوى سمكةٍ واحدةٍ جَرفتْها من النهرِ ببراثنِها.

ومرّتْ أشهُرٌ. وانضمَّ الجروانِ إلى أمّهما في كلِّ رحلاتِ الصّيد. وأحياناً، كانت النّمرةُ تأتي جَروَيْها بالفَريسةِ، وتَتركُها، لتُتيحَ لهما فرصةَ افتراسِها. وشيئاً فشيئاً، ازدادَ الصغيرانِ براعةً في الصيدِ.





وعندما بَلَغَ الجروان عامَهما الأولَ، آنطَلقَ أضخمُهما حجماً، ذاتَ أصيلٍ، يبحثُ بمفردِه عن طَريدةٍ. توجّهَ إلى مكانٍ قريبٍ من النهر تألفُه العائلةُ. وهناكَ كمَنَ بهدوءٍ، بينَ الشُجيراتِ، ينتظرُ فريستَهُ.

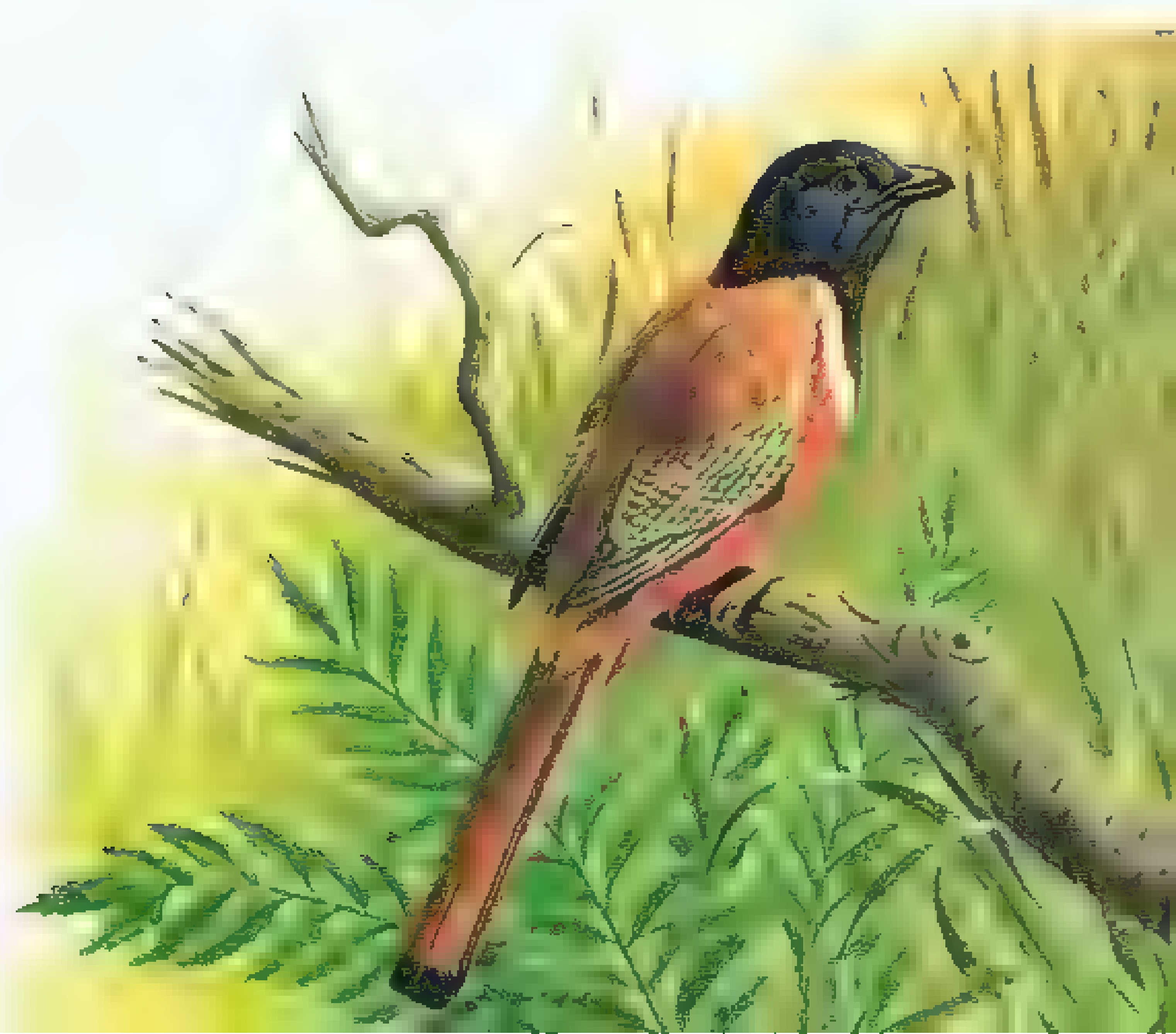
ولم يَطُلِ آنتظارُه. فإنَّ عائلةً من الخنازير البرِّيةِ، وصلتْ إلى النّهرِ لتشربَ. وتحرّكَ أحدُها باتجاهِ المكانِ الذي يختبىءُ فيه النّمرُ. وكلمحِ البصرِ، وثبَ النمرُ الصغيرُ وأطبقَ على عُنقِ الضّحيةِ بإحكامٍ. وأدّى صراخُ الخنزير الصغيرِ، إلى هروبِ أشقّائِه وكانت تلكَ، أولى عمليةِ صيدٍ يقومُ بها.



جَرَّ النمرُ الصغيرُ جثةَ الخنزيرِ إلى وادٍ صغيرٍ، ووضعَها تحتَ شُجيرةٍ خفيضةٍ كثيفةِ الأغصانِ، ليخفيَها عن النُّسورِ السّاعيةِ أبداً وراءَ فريسةٍ جديدةٍ، ثم انطلقَ إلى الغابةِ ليأتيَ بأمّه وبالجروِ الآخرِ، يُشاطرانه وجبةَ الطعامِ.

وبعدَ أن تناولتِ النمورُ طعامها، استظلّتِ الشجرةَ واستسلمت للراحةِ. فمنَ الآنِ فصاعداً، سيعمدُ النمرانِ الصغيرانِ، أكثرَ فأكثرَ، إلى الصيدِ بنفسيهما. لكنهما لن يَتْرُكا أمَّهما، قبلَ عامٍ من الآن. وبالانتظارِ ستبقى النمرةُ الأمُّ تصطادُ للجميعِ.

وعندما يحينُ وقتُ الافتراقِ، تكونُ النمرةُ الأمُّ، قد أصبحتْ مستعدّةً لزواجٍ جديدٍ. وهكذا ستولَدُ عائلةٌ جديدةٌ من النُّمور تجوبُ الغابةَ.



صيادٌ ماهرٌ

يُعتبرُ النمرُ أكبرَ حيوانٍ في فصيلةِ السِّنَّوريّاتِ. يمكنُ أنْ يصلَ طولُ النمرِ الذكرِ إلى أكثرَ من ثلاثةِ أمتارٍ - في عدادها الذنبُ - وأن يصلَ وزنُه إلى أكثرَ من ٢٥٠ كلغ. وأنثى النمرِ تكونُ عادةً أصغرَ حجماً من الذّكرِ.

معْطفُ النمرِ الرائعِ، ذو اللونينِ الأسودِ والبرتقالي، يساعدُه على التّعميةِ (التمويه) في الغابةِ، أم في موطنه في الأراضي المعشوشبةِ. فتندمجُ خطوطُه بالأعشابِ والشُّجيراتِ المتاوجةِ. وهذا يصحُّ، بصورةٍ خاصّةٍ عند الغَسَقِ، حين يكونُ النورُ خافتاً. فيقومُ النمرُ بأكثرِ عملياتِ صيدِهِ. وتشكّلُ الغزلانُ، والخنازيرُ، والظباءُ، طعامَ النمرِ الرئيسي. لكنه يقتلُ أحياناً، الجواميسَ الكبيرةَ، ويصطادُ السمكَ، من وقتٍ الى آخرَ.

والنمرُ صيادٌ ماهرٌ، يستعملُ أذنَيْه لتحديدِ موقعِ فريستِه، ثم يتحرّكُ في اتجاهها، بهدوءٍ، على كفوفه القويّةِ ذاتِ البراثنِ. وعندما يصبحُ على مسافةِ أمتارٍ قليلةٍ منها، يقفزُ بسرعةٍ كبيرةٍ، وينقضُّ عليها، غارزاً براثِنَهُ فيها، فيقتلُها بضربةٍ واحدةٍ من كفِّهِ ذاتِ البراثنِ أو بعضّةٍ واحدةٍ في الرّقبةِ.

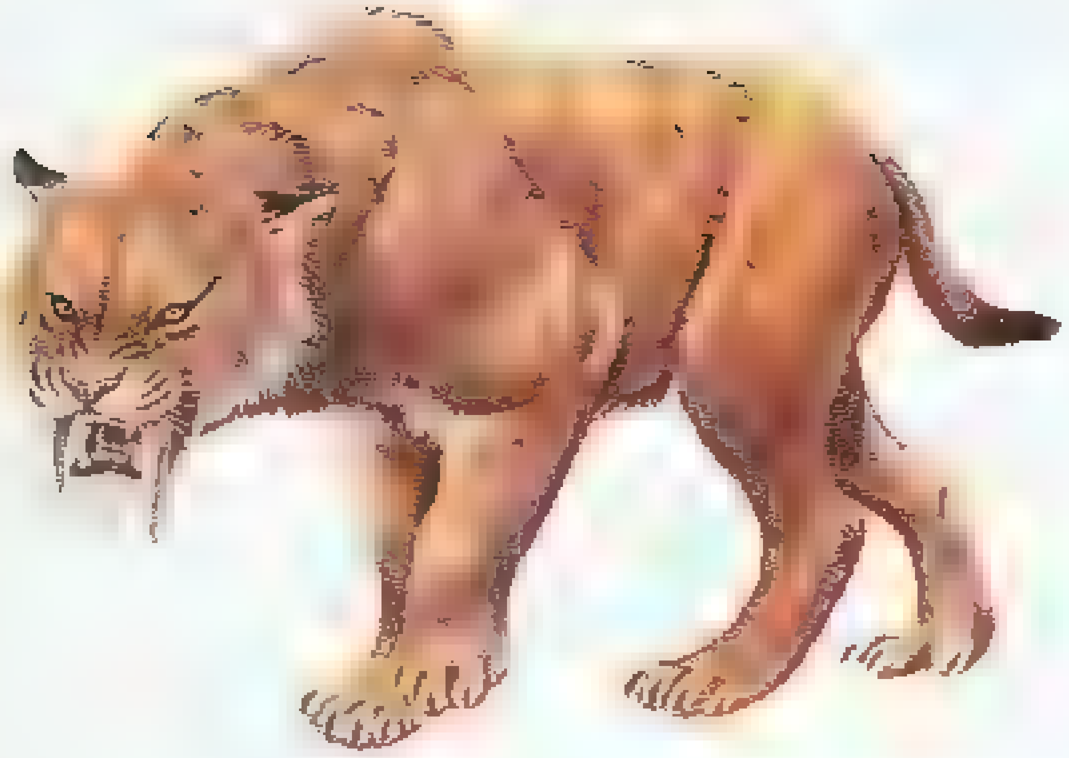
أكلةُ الإنسان

قد يحدثُ أن تأكلَ النمورُ الإنسانَ، وخصوصاً في الهندِ. لكنها لا تقتربُ عادةً من الإنسانِ، بل قد تتجاهلُ وجودَه تماماً. ولا يحدثُ أن يُهاجمَ النمرُ إنساناً، إلا عندما يصبحُ هذا النمرُ عجوزاً، أو يكونُ مصاباً بجرحٍ، أو عاجزاً عن الحصول على طعامِهِ المألوفِ.

ضُروبُ النمر

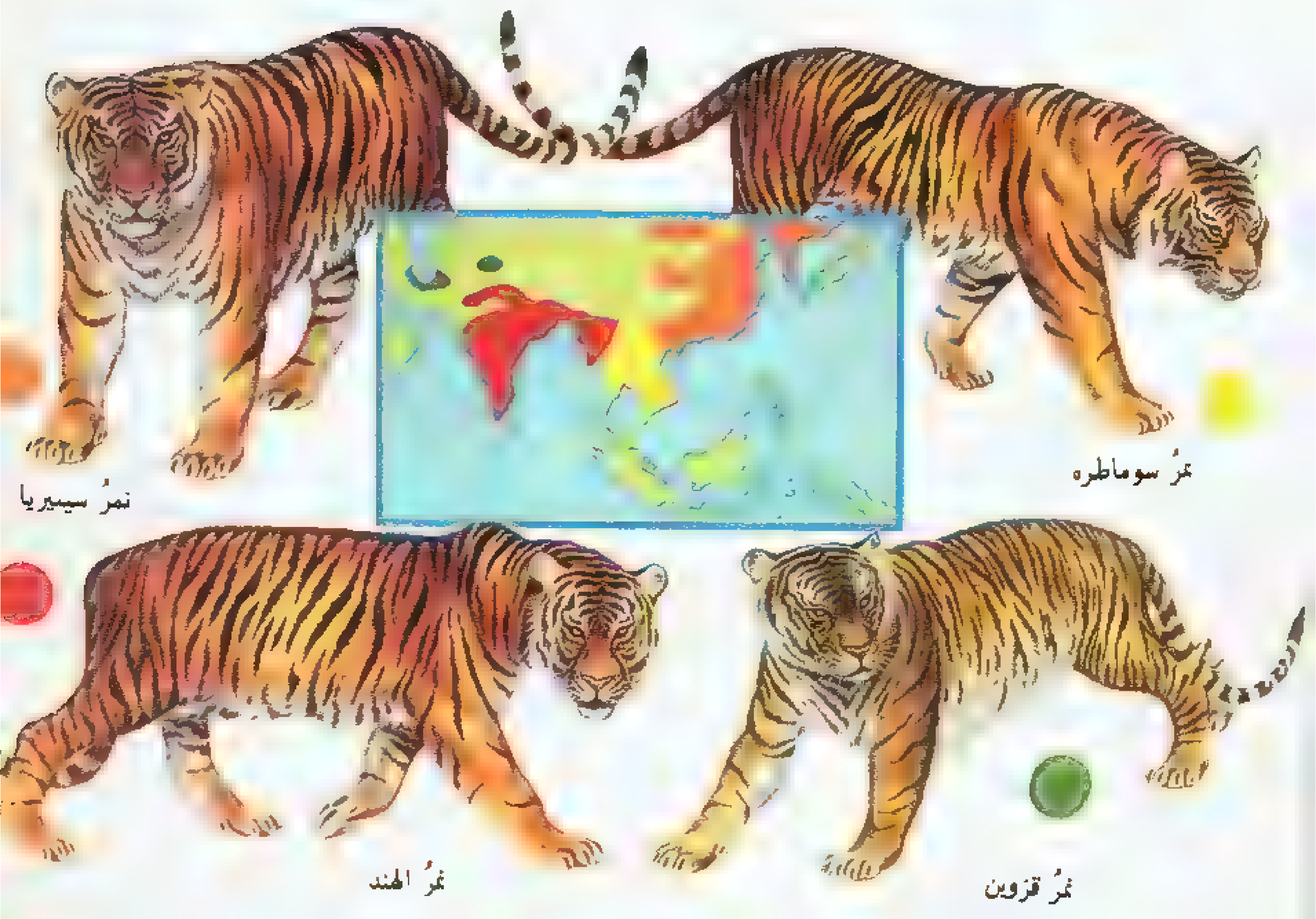
ينتشرُ النمرُ في مناطقَ كثيرةٍ من آسيا. كما هو ظاهرٌ في الخريطةِ المنشورةِ في أدنى الصفحةِ التاليةِ وتوجدُ منه عدّةُ ضروبٍ، يعيشُ أوسعُها انتشاراً في المناطقِ الباردةِ، في أنحاءِ سيبيريا الجبليةِ، وفي شمالي الصين.

والنمورُ الشماليةُ هي عادةً باهتةُ اللونِ، وشعرُ فرائِها طويلٌ، لتأمينِ دفئِها والنمورُ القزوينيةُ، تعيشُ في مستنقعاتِ القصبيّةِ المنتشرةِ حولَ البحرِ القزويني، ويعيشُ النمرُ الهنديّ في الغاباتِ وفي الأراضي المعشوشبةِ. في حين يعيشُ نمرُ سوماطره في الغاباتِ الكثيفةِ. وهذه النمورُ الاستوائيةُ، هي أصغرُ كثيراً من النمورِ الأخرى، وأكثرُ دكنةً. أما أصغرُ النمورِ حجماً فيعيشُ في جزيرةِ بالي. والنمرُ، بطلُ قصّتِنا، هو نمرٌ هنديٌّ.



النمرُ القديمُ المسيّفُ النابين

في العصرِ الجليديّ الكبيرِ كانَ يعيشُ نمرٌ له نابان ضخمان في فكّهِ الأعلى، يُشبهانِ الخنجرَ. وقد عُرِفَ باسم النّمرِ المسيّفِ النابين. وكانَ يستطيعُ أنْ يفتحَ شدقَهُ وسيعاً. وربّما كانَ يستخدمُ نابيْهِ الضّخمين، لطعنِ أفيالِ الماموتِ (المنقرضةِ اليومَ)، وغيرِها من الحيواناتِ، من ذواتِ الجلد السّميكِ، التي كانتْ تعيشُ في تلكَ الأزمنةِ الباردةِ. وقد انقرضَ هذا النّمرُ، معَ نهايةِ العصرِ الجليديّ.



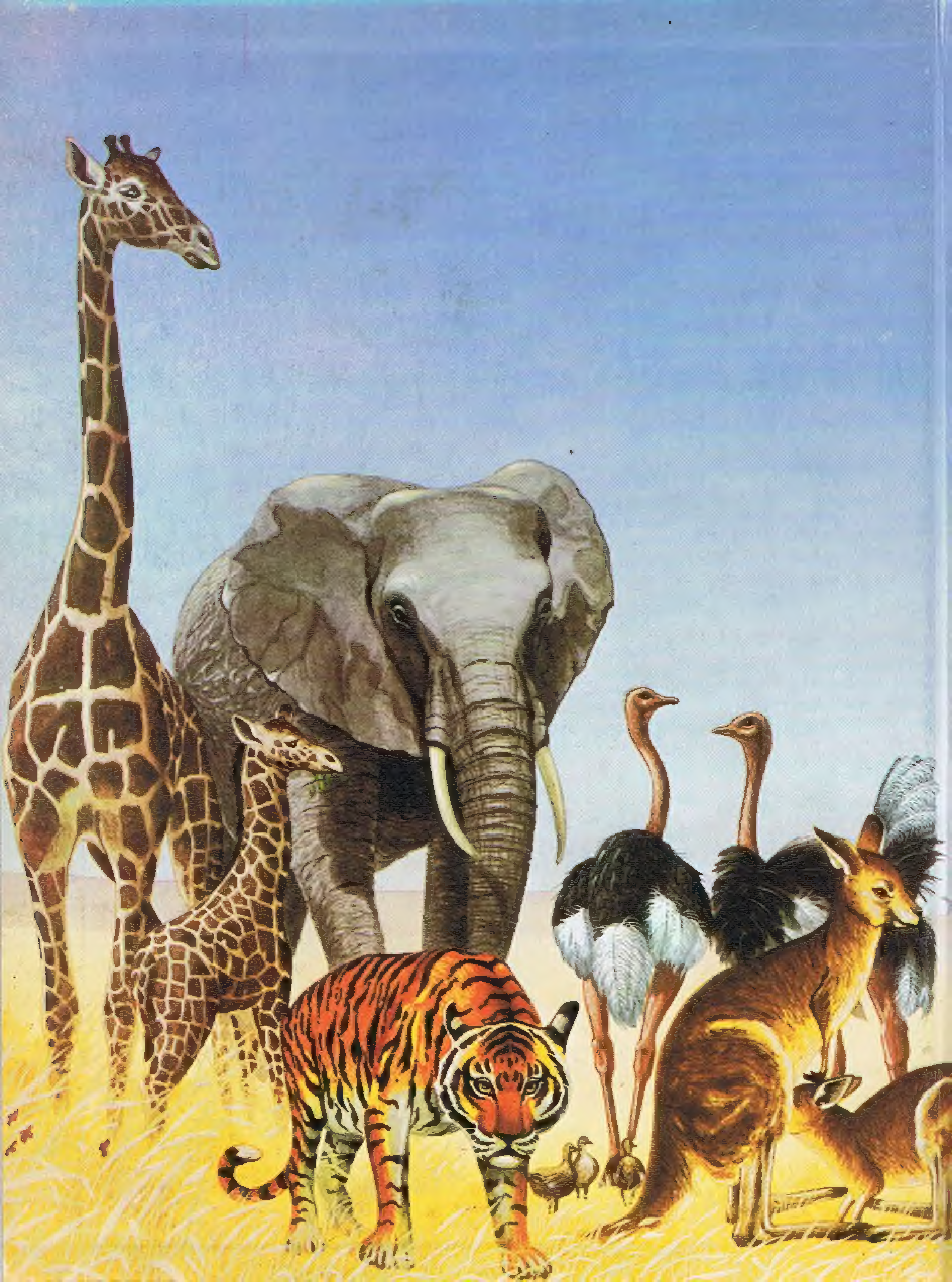
إعداد : جنيفر جوستيس
رسوم : غراهام آلن
ترجمة : هالة نابلسي / ليلى فؤاد عيتاني
مراجعة : جوزيف صفير

الإخراج : دار المسيرة : بيروت

التنضيد والمنتاج : المركز الالكتروني للخدمات الطباعيّة

الطباعة : مطبعة فينيقيا





سلسلة عالم البراري

النمر
الدّبّ
الكنغر
الذئب
الفيل
البَطريق
الأيل
القندس